اقتناص الوهم البصري في القصة القصيرة

مقرر ونصوص ورشة الكاتب ممدوح رزق

دار عرب
للنشر والتوزيع

اقتناص الوهم البصري في القصة القصيرة
مقرر ونصوص ورشة الكاتب ممدوح رزق
"نادي القصة بالمنصورة / مكتبة مصر العامة ـ 4 مايو 2024"
عرب للنشر والتوزيع 2024
صورة الغلاف: ملك ممدوح رزق

اقتناص الوهم البصري في القصة القصيرة

ما هو الوهم البصري؟

هو رؤية شيء، تحت أي مستوى من الوضوح، يتبين فيما بعد أنه كان شيئًا آخر، أو أنه لم يكن موجودًا من الأصل.

ما هو الوهم البصري المتخيل؟

هو ما يُتصوّر رؤيته بوعي سابق أنه لا يمتلك وجودًا فعليًا، ولكن تتم معاملته كشيء واقعي، وهو يختلف عن التخيّل المحض، الذي يقتصر على الذهن دون "توهم" بتجسده.

ما هو الوهم البصري في القصة القصيرة؟

هو الشيء الذي حين يتبين بعد الرؤية الأولى أنه كان شيئًا آخر، أو لم يكن موجودًا من الأصل، أو ذلك الذي يُتصوّر رؤيته خياليًا؛ فإنه يكون محرّضًا لاكتشاف وتأمل أمر ما في حياة الشخصية القصصية، في ذاكرتها، في العالم كليًا .. يكون دافعًا للتساؤل: لماذا رأيت هذا الشيء تحديدًا مع أو قبل إدراكي بأنه كان وهمًا بصريًا؟ .. لماذا في هذه اللحظة وهذا المكان بالذات؟ .. ما الذي يربط هذا الوهم بحياتي، بالماضي الشخصي كما أستعيده الآن، بعلاقاتي جميعها على مدار عمري، بأسراري، بأفكاري ومشاعري وتخيلاتي، ما الذي يربطه بما يؤرقني، وبمعني الحياة والموت بالنسبة لي منذ الطفولة وحتى رؤية هذا الوهم؟

وفقًا لهذا؛ فإن الوهم البصري في القصة القصيرة ليس مجرد رؤية خاطئة، وإنما جانب من عمل "البصيرة"، إيماءة لا واعية من الذات تجاه الواقع، تظل دائمًا محل شك، تتأرجح بين التصديق والتكذيب، حتى مع التيقن بأن ما وقع عليه البصر لم يكن "حقيقيًا". لذلك فإن "الوهم البصري" يمتلك في القصة القصيرة "صدقه الخاص" الذي يتجاوز "خداع النظر"، لأنه مرتبط وناجم عن "وجود" فعلي يكمن في الذات.

تطبيق على قصة "الرجل الذى عاد" لابراهيم أصلان

"القصة"

قرأت مرة في واحدة من صحفنا السيارة أن مواطنا عاد من العمل، وعندما اقترب من البيت رفع رأسه ووجد أن زوجته تطل من البلكونة شبه عارية، وأن عشيقها يقف إلى جوارها بملابسه الداخلية ويدخن السيجارة، وفى حينها، أسرع هذا المواطن إلى قسم الشرطة واشتكى.

أنا استغربت من المشهد وسويت عنه حكاية صغيرة تلبية لمطلب أحد الأصدقاء ونشرتها في مجلة عربية. ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، فالمواطن هذا راح يتبدى لي في أشكال شتى ويخايلني بين يوم وآخر ولا يغادر الذاكرة، أي أنه كان يرمقني بجانب عينه، على حين غرة، وهو يعبر مطرقًا في انكسار من الناحية التي هنا إلى الناحية التي هناك. حينئذ أدركت أن الحكاية التي سويتها عنه لم تكن مرضية، بالنسبة له على الأقل، وأنني لو كنت عبرت عنها بصورة جيدة ما كان صادفني سواء كنت واقفا عند الدولاب أو طالعا السلم أو حتى نازلا منه، فالتعبير الجيد عن أية حالة هو السبيل الوحيد لتجاوزها إلى غيرها.

هكذا فكرت أن أحاول سرد الحكاية بطريقة أخرى قد ترضيه، وفكرت أن المواطن فلان الفلاني عندما عاد من عمله قبل موعده اليومي بفترة ليست طويلة جدا، تمهل في الناحية الأخرى من بيته الذى يتصدر الميدان الصغير، ثم ألهمته أرغفة العيش الطازج التي رآها على طاولة البقال الذى على الناصية، هكذا مال وانتقى عدة أرغفة دفع ثمنها وضمها إلى صدره قبل أن يرفع رأسه إلى بلكونته العالية، حيث رأى زوجته تميل من هناك مكشوفة الكتفين والذراعين، أما ساقاها البضتان فقد كان عريهما واضحا وراء شرائح الحديد في سور البلكونة، وإلى جوارها يميل رجل لا يعرفه أبدا في ثياب داخلية صغيرة وبيضاء، في حين كان جلبابه المعروف

منشورا هناك على الحبال الممتدة مثل الشاهد الصامت، وكانت زوجته تلتفت إلى الرجل وتتحدث متهللة والرجل يسمعها دونما اهتمام ويدخن.

وعلى الفور سمعت هذا المواطن وهو يتقدم نحو البيت ويصيح صارخا مما لفت الناس ولحقوا به نحو البيت وكلهم ينظر إلى أعلى وبعضهم يضرب كفا بكف ويرى الزوجة وهى تسرع بالدخول والرجل الذى في ثيابه الداخلية يلحق بها ويغلق وراءه على عجل. ولكنني ما إن كتبت هذا الكلام حتى انتبهت، ونحن وسط الزحمة، إلى أنني عملت له فضيحة، الأمر الذى سوف يغضبه أكثر ويجعله يروح يخايلني بين يوم وآخر ويرمقني بجانب عينه، على حين غرة، وهو يعبر مطرقا في انكسار من الناحية التي هنا إلى الناحية التي هناك. لذلك عدت وكتبت أنني رأيت، بدلا من سمعت، هذا المواطن وهو يقفز فورا إلى أعلى ويقول:

ـ حوش يا جدع. امسك.

ثم لاحظت أن قدميه لم تغادرا الأرض لما قفز كما أن صوته لم يطلع منه لما صرخ، هكذا لم ينتبه إليه أحد بل ظل واقفا عند البقال العجوز مثل مواطن مصدوم لا يفعل إلا أن يشرئب برأسه وهو يضم أرغفة العيش الطازج إلى صدره.

وهنا ثبتُّ الصورة وتركته واقفا هكذا لأنني في ذلك الوقت لم أكن أعرف ما الذى عليه أن يفعله. وقمت اتجهت إلى المطبخ وأحضرت الكوب الزجاجي وأمسكت بالملعقة وفتحت العلبة ولقمته وأسقطت من علبة السكر الدايت الأبيض حبتين فوق الشاي الجاف الأسود ثم ضغطت زر السخان الكهربائي الذى أنا سعيد به بعدما أهلكت عدة عشرات من برادات الألومنيوم بسبب تركها بقية اليوم على نار البوتاجاز ورحت أتردد بين المطبخ والصالة حتى سمعت صوت الزر وهو يطق عائدا إلى موضعه، حينئذ صببت الشاي وغادرت المطبخ إلى الصالة وقعدت على الكنبة الطرية أشربه وأتفرج لمامًا على التليفزيون حتى انتهيت فكرت أن أقوم أغسل الكوب الفارغ ولكنني تركته على الطاولة وانتقلت للجلوس أمام الكمبيوتر حيث رأيت المواطن ما زال ثابتا في مكانه كما تركته قبل

الأحداث الأخيرة لا يفعل إلا أن يشرئب برأسه إلى أعلى ويضم أرغفة العيش الطازج إلى صدره ولا تطرف له عين.

فكرت أن أيسر ما يمكنني عمله أن أجعله يتراجع بهدوء ويغادر الميدان ينزوي في ناصيته من الخارج ويسند ظهره إلى جدار قريب يلتقط أنفاسه وينشغل بالفرجة على الشارع حتى يتمالك نفسه ويتدبر أمره ويحسن التصرف في هذا الموقف الطارئ.

تركته هكذا يستريح وخرجت إلى الصالة تناولت كوب الشاي الفارغ ودخلت المطبخ غسلته ووضعته مع بقية الأكواب وتلكأت قليلا ثم تفرجت وأنا واقف على الشوط الأخير من مباراة قوية جدا في التنس بين اليوغسلافي المصنف الثالث عالميا والفنلندي المصنف الحادي والأربعين في مدينة بازل السويسرية حيث يعيش صديقي جميل عطية إبراهيم، والمباراة حسمها اليوغسلافي بصعوبة بالغة لذلك عدت إلى الكمبيوتر وجلست ورأيت المواطن فلان الفلاني وهو ما زال ينزوي في ناصية الميدان. وفي اللحظة التي جلست فيها كان تدبر أمره فعلا ورأى، وأنا أيضا، أن يتقدم بهدوء داخل الميدان من دون أن يرفع وجهه إلى البلكونة وكأنه مجرد مواطن عائد من العمل قبل موعده بقليل يضم عيشا طازجا إلى صدره وفاته أن يلقى نظرة على بلكونة شقته التي في الأعلى.

كان المتوقع أن نطلع السلم سويا ويفتح باب الشقة بالمفتاح وأنا أتبعه لكى يباغتهما وننظر ما الذى يمليه الموقف وقتها.

وكلما كنت أتمهل على السلم حتى تهدأ أنفاسي لأنه كان أصغر منى سنا، طبعا، باعتبار أنني مهما تلفّت لم يعد يصادفني إلا أعداد قليلة جدا ممن يكبرونني في السن.

أقول إنه كان يسبقني بعدة درجات وكلما تمهلت كان ينتظرني ويلتفت إلىَّ من أعلى وقد ضم أرغفة العيش الطازج إلى صدره، وأثناء انتظاري كان ينتهز الفرصة ويفكر في بلكونته والأوقات الطيبة التي طالما قضاها فيها يتفرج على الناس آخر النهار أو يشرب الشاي أو يضيع الوقت ويراقب نجوم الليل حتى تروح هي في النوم ثم يدخل بهدوء وينام حينئذ تتملكه

الرغبة في نزول السلم مرة أخرى مباغتة أحد ولكنني كنت أسد عليه الطريق وأنا أتكئ بكفى على ركبتي المثنية على الدرجة التالية.

هكذا جرى الأمر حتى وصلنا الطابق الرابع ووجدنا باب شقته مفتوحا عن آخره. وهو سبقني مترددا وأنا تبعته وسمعته يقول:

ـ سلام عليكم.

ومن فوق كتفه رأيت كيف أن زوجته تجلس فى الصالة بجلباب البيت الطويل المغلق تغطى رأسها ورقبتها بطرحة لها ألوان باهتة، وقبالتها من الناحية الأخرى كان رجلا في منتصف العمر يرتدى قميصا وبنطلونا ويضم ركبتيه إلى بعضهما، وهذا الرجل قام واقفا وهو يقول مبتسما:

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

والزوجة قالت وهى تشير بيدها:

ـ الأستاذ عباس. أخو منيرة. أم سامية

والمواطن فلان الفلاني قال:

ـ أهلا وسهلا.

واستدار وضع أرغفة العيش على الطاولة الجانبية تحت الساعة البلاستيك المعلقة وزوجته أسرعت أحضرت الفوطة من ظهر المقعد وراحت تزيل له الردة التي خلفها العيش على صدره. والمواطن تابع يدها وهى تعمل في تنظيفه ثم تعيد الفوطة إلى مكانها والتفت إلى شقيق الست منيرة الذى كان ما زال واقفا وقال وهو يجلس:

ـ اتفضل.

وجلس المواطن وكذلك الرجل الذى تناول الكوب وشرب ما تبقى من الشاي وقال:

ـ أستأذن أنا بقى؟

والزوجة قالت لزوجها إنه جاء يخبرها أن منيرة محجوزة في المستشفى، ثم أكدت عليه وقالت لازم نزورها قريب.

والزوج قال:

ـ إن شاء الله.

والرجل ابتسم:

ـ أنا جيت مخصوص لأن نفسها تشوفك قبل ما يجرى لها حاجة.

كانوا وقفوا جميعا وأنا لاحظت أن جسد الزوجة من الخلف كان يمتلئ امتلاء محببا وهى تقول:

ـ كلها يومين ونروح نشوفها.

والرجل مد يده يصافحهما:

ـ على خيرة الله.

واتجه إلى الباب والزوجة تلاحقه:

ـ مش كنت اتغديت معانا؟

وقال:

ـ يجعله عامر.

وانصرف.

أغلقت هي الباب والتفتت سألته:

ـ جاي بدري يعنى.

قال:

ـ يعني

قالت:

ـ على العموم الغدا جاهز.

واتجهت إلى المطبخ بينما أسرع هو إلى باب البلكونة المغلق وفتحه ودخل. بحث عن جلبابه المعروف المنشور على الحبال الممتدة والذى رآه وهو تحت لكنه لم يجده، ونظر إلى أسفل ورأى الرجل الذى في منتصف العمر وهو يبتعد بين الناس ويغادر الميدان ولاحظ أن مؤخرة رأسه خالية تماما من الشعر.

حينئذ تراجع إلى الصالة وأغلق باب البلكونة واتجه إلى حجرة النوم قلع هدومه وأخرج جلبابا من الدولاب وقبل أن يرتديه نظر في المرآة ورأى نفسه هو الآخر بثيابه الداخلية البيضاء وخرج إلى الصالة.

كانت وضعت صينية عليها صحن من الكوسة المطبوخة بها قطعة لحم وإلى جوار هذا الصحن رغيفان سخنتهما على البوتاجاز ووضعتهما داخل كيس شفاف من البلاستيك، وعندما همس وهو يجلس:

ـ مش حتاكلي والا إيه؟

قالت فى أسى:

ـ حكاية منيرة سدّت نفسى. بيقولك اللهم احفظنا عندها المرض البطّال.

جلس يأكل وهو مشغول البال جدا ولا يعرف ما هو الشيء الذى يجب أن يفكر فيه الآن أو يستقر عليه.

أنا أيضا لم أكن أعرف.

ولكنه توجه بالسؤال إلى نفسه بينما يمضغ وقال:

ـ طيب لو كانا هما اللذان فى البلكونة أين ذهب الجلباب المنشور؟ وهل شعرا بحضوره وهما يقفان فى البلكونة ولحقا غيّرا هدومهما وعادا يفتحان باب الشقة ويجلسان يشربان الشاى هكذا مع أنه لم يقض وقتا طويلا وهو يستريح عند ناصية الميدان؟، وفكر مرة أخرى قائلا:
ـ هل من رآهما كانا فى بلكونة طابق آخر غير بلكونة الطابق الرابع التى هى بلكونته؟ وشعر بالحسرة أنه لم يعدّ الأدوار بدقة وهو تحت، وقال إن هذه هى غلطته، ثم ابتلع ما مضغه وكرر متمهلا بينه وبين نفسه:

ـ "فعلا. هى دي غلطة عمري".

وقام غسل يديه وجففهما وعاد وجدها وضعت الصينية المعدنية بينهما على الطاولة الصغيرة وراحا يشربان الشاى ويتكلمان على الكنبة، وأنا تركت الحياة تسير بينهما مثل أى حياة متوقعة، إلا أن هذا لم يمنع أنه فى بعض الأيام، خصوصا عندما كان يراها تتربع على الكنبة فى ضوء الشباك وقد عرَّت ركبتيها وبان شىء داخلى من لحمها العارى ترفع قطعة المرآة المكسورة أمام وجهها بينما تمسك الملقاط الصغير بين إصبعيها تنتف جذور الشعر من تحت حاجبها المقوس بعناية، أو عندما كان يلاحظ امتلاء جسدها من الخلف وهى تخطر أمامه فى الصالة، عندما كان يحدث شىء من هذه الأشياء وربما أشياء أخرى قليلة، لم يكن يملك إلا أن يقضى الفترة القادمة يغلبه القلق سواء كان يشرب الشاى أو لا يشربه.

التطبيق

"قرأت مرة في واحدة من صحفنا السيارة أن مواطنا عاد من العمل، وعندما اقترب من البيت رفع رأسه ووجد أن زوجته تطل من البلكونة شبه عارية، وأن عشيقها يقف إلى جوارها بملابسه الداخلية ويدخن السيجارة، وفى حينها، أسرع هذا المواطن إلى قسم الشرطة واشتكى.

أنا استغربت من المشهد وسويت عنه حكاية صغيرة تلبية لمطلب أحد الأصدقاء ونشرتها في مجلة عربية. ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، فالمواطن هذا راح يتبدى لي في أشكال شتى ويخايلني بين يوم وآخر ولا يغادر الذاكرة، أي أنه كان يرمقني بجانب عينه، على حين غرة، وهو يعبر مطرقًا في انكسار من الناحية التي هنا إلى الناحية التي هناك. حينئذ أدركت أن الحكاية التي سويتها عنه لم تكن مرضية، بالنسبة له على الأقل، وأنني لو كنت عبرت عنها بصورة جيدة ما كان صادفني سواء كنت واقفا عند الدولاب أو طالعا السلم أو حتى نازلا منه، فالتعبير الجيد عن أية حالة هو السبيل الوحيد لتجاوزها إلى غيرها".

نلاحظ في هذه الفقرة أولًا أن الراوي لم يستخدم فعل "التخيل" وإنما ذكر عن المواطن بأنه "راح يتبدى لي في أشكال شتى"، "يرمقني بجانب عينه، على حين غرة، وهو يعبر مطرقًا في انكسار"، "صادفني سواء كنت واقفًا عند الدولاب أو طالعًا السلم أو حتى نازلًا منه" .. أي أن ما يراه الراوي ليس تخيلًا وحسب، وإنما وهمًا بصريًا متخيلًا، أي أن المواطن لا يتواجد أو يتحرك ضمن الحدود الذهنية للراوي فقط، وإنما ضمن حدوده "المكانية" أيضًا، وبما يبدو كنتاج لإرادة مستقلة للمواطن، تدعي التمثّل حسيًا.

نلاحظ ثانيًا العلاقة التي تلح على كشف نفسها بين الراوي و"المواطن" الذي نشرت إحدى الصحف موضوع "زوجته وعشيقها" .. "المواطن" أصبح قابعًا في ذاكرة الراوي، ويطارد بصره في لحظات مختلفة .. كأن "المواطن" أصبح بمثابة مرآة غامضة للراوي، شبح كان كامنًا في ذات الراوي ثم تجسد "وهمًا" أمام عينيه إثر الموضوع الذي تم نشره ..

لننتبه إلى أمرين هامين في هذه الفقرة: أولًا الأشكال التي يظهر بها المواطن للراوي، هي تمثيل لطبيعة معينة وليس مجرد ظهور وحسب، كأن "المواطن" يرسل إيماءات وإشارات محددة للراوي بما ينبغي عليه أن يتأمله ويشتبك معه .. ثانيًا أن الراوي لديه حدس أو إدراك خفي بما ناوشه موضوع المواطن في نفسه، وبالتالي بما تنبئ به الإيماءات والإشارات التي يرسلها هذا المواطن حين يتجسد كـ "وهم بصري" أمام الراوي، وهذا ما جعله يحاول "تجاوز" واقعة المواطن بالحكاية الصغيرة التي كتبها عنها في مجلة عربية. محاولة لتأجيل التيقن والمواجهة مع ما فجّرته هذه الواقعة بداخله.

"هكذا فكرت أن أحاول سرد الحكاية بطريقة أخرى قد ترضيه، وفكرت أن المواطن فلان الفلاني عندما عاد من عمله قبل موعده اليومي بفترة ليست طويلة جدا، تمهل في الناحية الأخرى من بيته الذى يتصدر الميدان الصغير، ثم ألهمته أرغفة العيش الطازج التي رآها على طاولة البقال الذى على الناصية، هكذا مال وانتقى عدة أرغفة دفع ثمنها وضمها إلى صدره قبل أن يرفع رأسه إلى بلكونته العالية، حيث رأى زوجته تميل من هناك مكشوفة الكتفين والذراعين، أما ساقاها البضتان فقد كان عريهما واضحا وراء شرائح الحديد في سور البلكونة، وإلى جوارها يميل رجل لا يعرفه أبدا في ثياب داخلية صغيرة وبيضاء، في حين كان جلبابه المعروف منشورا هناك على الحبال الممتدة مثل الشاهد الصامت، وكانت زوجته تلتفت إلى الرجل وتتحدث متهللة والرجل يسمعها دونما اهتمام ويدخن".

يبدأ الراوي في كتابة الحكاية بشكل مختلف، متواريًا خلف "إرضاء المواطن" ليحاول التفاوض مع شبحه الذاتي المتمثل كوهم بصري في صورة المواطن .. يحاول الاستجابة للعلامات التي يظهر بها المواطن أمامه، أي أن يتأمل الواقعة ويشتبك معها وفقًا للطبيعة التي تبديها هذه العلامات .. هو يفعل ذلك باستيعاب أن الأمر الآن أصبح يخصه أيضًا، لا "المواطن" فحسب، أي أن الحكاية التي يكتبها ستكون عن نفسه بقدر ما هي عن المواطن، وهذا ما يدفعه لسردها بضمير الغائب، مبقيًا على المواطن كشخصية "يُحكى عنها" لا "تحكي نفسها"، أي لا تسرد القصة

بضمير المتكلم، وذلك كتضليل للإدراك القابض على الراوي بأن ثمة توحدًا بينه والمواطن .. أراد الراوي أن يترك مسافة فاصلة مع المواطن كنوع من مراوغة تماثله مع الراوي، كي لا يستسلم لهذا التوحد بالمواطن حين يسرد القصة بضمير "الأنا"، أي لو حُكيت بصوت المواطن .. لكن هذه المسافة الفاصلة أيضًا أراد لها الراوي أن تتيح له التمعن في الواقعة وتشريحها كـ "فكرة" لا "كموضوع شخصي"، أي أنه أراد أن يعزل التأثيرات العفوية "التقليدية" المتوقعة حتى يكتسب الانشغال بالحدث موضوعية مفترضة.

"وعلى الفور سمعت هذا المواطن وهو يتقدم نحو البيت ويصيح صارخا مما لفت الناس ولحقوا به نحو البيت وكلهم ينظر إلى أعلى وبعضهم يضرب كفا بكف ويرى الزوجة وهى تسرع بالدخول والرجل الذى في ثيابه الداخلية يلحق بها ويغلق وراءه على عجل. ولكنني ما إن كتبت هذا الكلام حتى انتبهت، ونحن وسط الزحمة، إلى أنني عملت له فضيحة، الأمر الذى سوف يغضبه أكثر ويجعله يروح يخايلني بين يوم وآخر ويرمقني بجانب عينه، على حين غرة، وهو يعبر مطرقا في انكسار من الناحية التي هنا إلى الناحية التي هناك. لذلك عدت وكتبت أنني رأيت، بدلا من سمعت، هذا المواطن وهو يقفز فورا إلى أعلى ويقول:

ـ حوش يا جدع. امسك".

نلاحظ هنا أن الراوي يعدّل من القصة وفقًا لشعوره بالمواطن الذي يظهر له كـ "وهم بصري"، وهذا ما يؤكد التوحد بين الراوي والمواطن، ويؤكد أيضًا محاولة الراوي أن يظل هذا التوحد مضمرًا أو على الأقل غير معلن بصورة حادة .. كأنما المواطن هو الذي يكتب القصة في الواقع أو "الوهم البصري" بشكل أدق هو من يكتب القصة .. الراوي ينسب التعديل الذي يجريه إلى "المواطن" لكي يخفي أن هذا التعديل يرجع إليه هو أي إلى الراوي نفسه؛ حيث "المواطن" أو "الوهم البصري" ليس إلا ـ كما سبق وذكرت ـ شبحًا كان مخبوءً في باطن الراوي ثم تكفلت واقعة "المواطن" بتجسيده .. هكذا تكشف القصة عن كونها صراعًا بين

الإفصاح عن التوحد بين الراوي والمواطن، وبين الرغبة التلقائية في أن يكون هذا التوحد مستترًا.

نلاحظ أيضًا هذا التعديل الجوهري "عدت وكتبت أنني رأيت بدلًا من سمعت" .. الرؤية قرينة أقوى للتوحد من السمع .. الراوي يثبّت أنه والمواطن كيان واحد، لأن المواطن / الوهم البصري / الشبح المتجسد أمام الراوي هو من يكتب القصة في ظل المحاولات الظاهرية للراوي بأن تكون "حكاية عن شخص يكتبها شخص آخر" .. الرؤية هنا تعني تجسيد الحضور، أي أن الراوي لم يكن يسمع "المواطن" فقط، وإنما يراه أيضًا .. كأن الراوي يكشف عن المرآة التي يتمثل من خلالها في صورة المواطن .. كأن الراوي يقول "رأيت نفسي"، وذلك اتساقًا مع المواطن كوهم بصري يمثل ما كان مختبئًا في ذات الراوي.
"ثم لاحظت أن قدميه لم تغادرا الأرض لما قفز كما أن صوته لم يطلع منه لما صرخ، هكذا لم ينتبه إليه أحد بل ظل واقفا عند البقال العجوز مثل مواطن مصدوم لا يفعل إلا أن يشرئب برأسه وهو يضم أرغفة العيش الطازج إلى صدره.

وهنا ثبتُّ الصورة وتركته واقفا هكذا لأنني في ذلك الوقت لم أكن أعرف ما الذى عليه أن يفعله. وقمت اتجهت إلى المطبخ وأحضرت الكوب الزجاجي وأمسكت بالملعقة وفتحت العلبة ولقمته وأسقطت من علبة السكر الدايت الأبيض حبتين فوق الشاي الجاف الأسود ثم ضغطت زر السخان الكهربائي الذى أنا سعيد به بعدما أهلكت عدة عشرات من برادات الألومنيوم بسبب تركها بقية اليوم على نار البوتاجاز ورحت أتردد بين المطبخ والصالة حتى سمعت صوت الزر وهو يطق عائدا إلى موضعه، حينئذ صببت الشاي وغادرت المطبخ إلى الصالة وقعدت على الكنبة الطرية أشربه وأتفرج لمامًا على التليفزيون حتى انتهيت فكرت أن أقوم أغسل الكوب الفارغ ولكنني تركته على الطاولة وانتقلت للجلوس أمام الكمبيوتر حيث رأيت المواطن ما زال ثابتا في مكانه كما تركته قبل الأحداث الأخيرة لا يفعل إلا أن يشرئب برأسه إلى أعلى ويضم أرغفة العيش الطازج إلى صدره ولا تطرف له عين".

الراوي في هذه الفقرة يتحدث عن نفسه، يصف حركته، خطواته وجانبًا روتينيًا من حياته .. يشير إلى "غفلته" في عبارة "أهلكت عدة عشرات من برادات الألمونيوم بسبب تركها بقية اليوم على نار البوتاجاز"، وهذه الإشارة، يبدو فيها التعمّد أو القصد الخفي أن تكون عابرة، تنعطف بعيدًا عن موضوع المواطن، لتكون في الوقت ذاته علامة تطابق الراوي مع المواطن، إشارة خافتة ومراوغة لعلاقته الشخصية بالقصة التي يرويها .. الراوي ما زال يتحدث عن المواطن حين يتحدث عن نفسه .. يؤكد التوحد بينه والمواطن بينما يُظهر ابتعادًا مؤقتًا عن حكايته .. كأن الراوي ـ استنادًا لهذا التوحد ـ يعيد اكتشاف تفاصيله الاعتيادية باعتباره "المواطن" الذي يتجسد من خلاله كوهم بصري.

"فكرت أن أيسر ما يمكنني عمله أن أجعله يتراجع بهدوء ويغادر الميدان ينزوي في ناصيته من الخارج ويسند ظهره إلى جدار قريب يلتقط أنفاسه وينشغل بالفرجة على الشارع حتى يتمالك نفسه ويتدبر أمره ويحسن التصرف في هذا الموقف الطارئ.

تركته هكذا يستريح وخرجت إلى الصالة تناولت كوب الشاي الفارغ ودخلت المطبخ غسلته ووضعته مع بقية الأكواب وتلكأت قليلا ثم تفرجت وأنا واقف على الشوط الأخير من مباراة قوية جدا في التنس بين اليوغسلافي المصنف الثالث عالميا والفنلندي المصنف الحادي والأربعين في مدينة بازل السويسرية حيث يعيش صديقي جميل عطية إبراهيم، والمباراة حسمها اليوغسلافي بصعوبة بالغة لذلك عدت إلى الكمبيوتر وجلست ورأيت المواطن فلان الفلاني وهو ما زال ينزوي في ناصية الميدان. وفي اللحظة التي جلست فيها كان تدبر أمره فعلا ورأى، وأنا أيضا، أن يتقدم بهدوء داخل الميدان من دون أن يرفع وجهه إلى البلكونة وكأنه مجرد مواطن عائد من العمل قبل موعده بقليل يضم عيشا طازجا إلى صدره وفاته أن يلقى نظرة على بلكونة شقته التي في الأعلى".

يتوغل الراوي أكثر في تفاصيل حياته وفقًا لـ "المواطن" الذي صار إليه، أي الذي اكتشفه في داخله، وأصبح متمثلًا أمامه .. نلاحظ في هذه الفقرة فعل "أجعله"، والذي لا يبدو استخدامه كإشارة لتحكم الراوي في

الشخصية القصصية، وإنما كإثبات ضمني بأن من يقوم بهذه الأداءات في القصة هو الراوي نفسه ولكن في صورة المواطن .. كأن الراوي ـ بدافع من المسافة الفاصلة التي يريد تثبيتها بينه والمواطن ـ يستبدل "فعلت" بـ "جعلته يفعل"، وفي المقابل فإن عودة الراوي لسرد تفاصيله الشخصية بالتقاطع مع "كتابة الحكاية" يوطد ذلك التماثل بينه والمواطن بشكل غير مباشر؛ فالراوي يبدو كأنه يضع "حياته" ظاهريًا على "هامش" حكاية المواطن، وهذا تحديدًا ما يجعل تلك الحياة هي "متن" هذه الحكاية.

"كان المتوقع أن نطلع السلم سويا ويفتح باب الشقة بالمفتاح وأنا أتبعه لكى يباغتهما وننظر ما الذى يمليه الموقف وقتها.

وكلما كنت أتمهل على السلم حتى تهدأ أنفاسي لأنه كان أصغر منى سنا، طبعا، باعتبار أنني مهما تلفّت لم يعد يصادفني إلا أعداد قليلة جدا ممن يكبرونني في السن.

أقول إنه كان يسبقني بعدة درجات وكلما تمهلت كان ينتظرني ويلتفت إلىَّ من أعلى وقد ضم أرغفة العيش الطازج إلى صدره، وأثناء انتظاري كان ينتهز الفرصة ويفكر في بلكونته والأوقات الطيبة التي طالما قضاها فيها يتفرج على الناس آخر النهار أو يشرب الشاي أو يضيع الوقت ويراقب نجوم الليل حتى تروح هي في النوم ثم يدخل بهدوء وينام حينئذ تتملكه الرغبة في نزول السلم مرة أخرى مباغتة أحد ولكنني كنت أسد عليه الطريق وأنا أتكئ بكفى على ركبتي المثنية على الدرجة التالية.

هكذا جرى الأمر حتى وصلنا الطابق الرابع ووجدنا باب شقته مفتوحا عن آخره. وهو سبقني مترددا وأنا تبعته وسمعته يقول:

ـ سلام عليكم.

ومن فوق كتفه رأيت كيف أن زوجته تجلس فى الصالة بجلباب البيت الطويل المغلق تغطى رأسها ورقبتها بطرحة لها ألوان باهتة، وقبالتها من

الناحية الأخرى كان رجلا في منتصف العمر يرتدى قميصا وبنطلونا ويضم ركبتيه إلى بعضهما، وهذا الرجل قام واقفا وهو يقول مبتسما:

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

والزوجة قالت وهى تشير بيدها:

ـ الأستاذ عباس. أخو منيرة. أم سامية

والمواطن فلان الفلاني قال:

ـ أهلا وسهلا.

واستدار وضع أرغفة العيش على الطاولة الجانبية تحت الساعة البلاستيك المعلقة وزوجته أسرعت أحضرت الفوطة من ظهر المقعد وراحت تزيل له الردة التي خلفها العيش على صدره. والمواطن تابع يدها وهى تعمل في تنظيفه ثم تعيد الفوطة إلى مكانها والتفت إلى شقيق الست منيرة الذى كان ما زال واقفا وقال وهو يجلس:

ـ اتفضل.

وجلس المواطن وكذلك الرجل الذى تناول الكوب وشرب ما تبقى من الشاي وقال:

ـ أستأذن أنا بقى؟

والزوجة قالت لزوجها إنه جاء يخبرها أن منيرة محجوزة في المستشفى، ثم أكدت عليه وقالت لازم نزورها قريب.

والزوج قال:

ـ إن شاء الله.

والرجل ابتسم:

ـ أنا جيت مخصوص لأن نفسها تشوفك قبل ما يجرى لها حاجة.

كانوا وقفوا جميعا وأنا لاحظت أن جسد الزوجة من الخلف كان يمتلئ امتلاء محببا وهى تقول:

ـ كلها يومين ونروح نشوفها.

والرجل مد يده يصافحهما:

ـ على خيرة الله.

واتجه إلى الباب والزوجة تلاحقه:

ـ مش كنت اتغديت معانا؟

وقال:

ـ يجعله عامر.

وانصرف.

أغلقت هي الباب والتفتت سألته:

ـ جاي بدري يعنى.

قال:

ـ يعني

قالت:

ـ على العموم الغدا جاهز.

واتجهت إلى المطبخ بينما أسرع هو إلى باب البلكونة المغلق وفتحه ودخل. بحث عن جلبابه المعروف المنشور على الحبال الممتدة والذى رآه وهو تحت لكنه لم يجده، ونظر إلى أسفل ورأى الرجل الذى في منتصف العمر وهو يبتعد بين الناس ويغادر الميدان ولاحظ أن مؤخرة رأسه خالية تماما من الشعر.

حينئذ تراجع إلى الصالة وأغلق باب البلكونة واتجه إلى حجرة النوم قلع هدومه وأخرج جلبابا من الدولاب وقبل أن يرتديه نظر في المرآة ورأى نفسه هو الآخر بثيابه الداخلية البيضاء وخرج إلى الصالة.

كانت وضعت صينية عليها صحن من الكوسة المطبوخة بها قطعة لحم وإلى جوار هذا الصحن رغيفان سخنتهما على البوتاجاز ووضعتهما داخل كيس شفاف من البلاستيك، وعندما همس وهو يجلس:

ـ مش حتاكلي والا إيه؟

قالت فى أسى:

ـ حكاية منيرة سدّت نفسى. بيقولك اللهم احفظنا عندها المرض البطّال.

جلس يأكل وهو مشغول البال جدا ولا يعرف ما هو الشيء الذى يجب أن يفكر فيه الآن أو يستقر عليه.

أنا أيضا لم أكن أعرف".

تصل هذه الفقرة بالتوحد بين الراوي والمواطن إلى درجة أكثر وضوحًا .. كأن هذا الكشف يتم تدريجيًا وعبر مستويات متصاعدة من الإيحاء؛ فبينما يتحدث الراوي عن شخصية "أخرى" مستقلة، بعمر أصغر، إلا أنه يبدو كأنما يتكلم عن نفسه، وتحديدًا عن شبحه الداخلي الذي تمثّل في المواطن .. لنقارن بين السطور التي كان الراوي يتحدث فيها عن طقوسه اليومية، وما كتبه عن استعادة المواطن للحظات أثيرة في الماضي .. ثم نقرأ ما يبدو كاعتراف صريح بهذا التوحد بينهما في هذه الكلمات: "جلس يأكل وهو مشغول البال جدا ولا يعرف ما هو الشىء الذى يجب أن يفكر فيه الآن أو يستقر عليه.

أنا أيضا لم أكن أعرف".

لننتبه إلى اللحظة التي رأي فيها المواطن نفسه بثيابه الداخلية البيضاء في المرآة والتي تعيدنا إلى الرجل الذي رآه المواطن واقفًا في البلكونة بجوار زوجته والذي كان يرتدي "ثيابًا داخلية بيضاء" .. كأن الراوي

يفكر في أن "المواطن" رأى "نفسه" في صورة رجل آخر بجوار زوجته في البلكونة، وأنه غافل عن "نفسه"، عن "حياته" وليس عن "زوجته" فقط، كأن من يعيش حياته هذه شخص آخر، لا يعرفه، ليس شخصًا معينًا، ولكنه ذات مجهولة، يمكنها أن تكتسب ملامح وأجساد مختلفة في لحظات "الوهم البصري"، وتؤدي أدواره التقليدية في العالم، بينما يعيش هو عالقًا في عتمة هذه الذات، بالضبط مثلما اكتشف الراوي أن "المواطن" يعيش في عتمته الباطنية، وتجسّد كوهم بصري بعدما عرف "واقعته".

لننتبه أيضًا إلى أن الراوي لاحظ "أن جسد الزوجة من الخلف كان يمتلئ امتلاء محببًا" .. هذه الملاحظة الشهوانية ليست إشارة رغبة للراوي في جسد زوجة المواطن وإنما علامة عفوية للرغبة في انتهاك التوحد بينهما .. كأنه حينما يشير إلى امتلاء زوجة المواطن من الخلف فإنه يثبّت المواطن وزوجته وحياته كليًا كموضوع مستقل، منفصل عنه، تقع عليه شهوته من الخارج، خاصة مع حالة التوتر الجنسي المهيمنة في ذلك الموقف .. لكن الراوي أيضا بهذه الملاحظة يؤشر إلى أمرين: الأول هو أن جسد الزوجة يعادل تفاصيل الراوي التي يعتقد أنه يمتلكها ولكنها ـ بعد الواقعة ـ اكتسبت صفة الشك والريبة والتلويح بالخيانة، أي أن الراوي في ملاحظته لجسد زوجة المواطن كان يستكشف تفاصيله الشخصية هو، والتي كان يسرد جانبًا منها أثناء كتابته لحكاية المواطن، وتحولت إلى "عناصر غريبة"، عصية على الفهم ومتمنعة على الحيازة .. الأمر الثاني أن لحظة التشكك هذه هي أكثر الأوقات التي ينتبه خلالها المرء إلى "جمال" ذلك الشيء الذي أدرك أنه لم يمتلكه كما كان يعتقد .. لحظة خبيثة، يتحوّل فيها المعتاد والمفروغ منه وما هو بالغ الخصوصية إلى مفاجئ، عدواني، لا يمكن ترويض لغزه الأكثر إثارة مما كان يُتصوّر .. "الجمال" هنا ليس صفة مستقلة، ولكنه نابع من الارتياب، من احتمال التخلي أو الفقد أو نقض العهد .. الشيء يبدو أكثر سحرًا في اللحظة التي يُشعرك خلالها بأنك كنت طوال الوقت غافلًا عنه، لم يكن تحت سيطرتك على مدار الماضي كما ظننت، أنك مهدد بالتيقن من أنه كان خائنًا لك .. هذا ما كان يفكر فيه الراوي أثناء ملاحظته لجسد زوجة

المواطن .. يفكر في شهوانيته تجاه التفاصيل المألوفة لعالمه والتي أصبحت تتسم على نحو مباغت بفتنة مبهمة وقاتلة بفضل واقعة المواطن.

"ولكنه توجه بالسؤال إلى نفسه بينما يمضغ وقال:

ـ طيب لو كانا هما اللذان فى البلكونة أين ذهب الجلباب المنشور؟ وهل شعرا بحضوره وهما يقفان فى البلكونة ولحقا غيّرا هدومهما وعادا يفتحان باب الشقة ويجلسان يشربان الشاى هكذا مع أنه لم يقض وقتا طويلا وهو يستريح عند ناصية الميدان؟، وفكر مرة أخرى قائلا:

ـ هل من رآهما كانا فى بلكونة طابق آخر غير بلكونة الطابق الرابع التى هى بلكونته؟ وشعر بالحسرة أنه لم يعدّ الأدوار بدقة وهو تحت، وقال إن هذه هى غلطته، ثم ابتلع ما مضغه وكرر متمهلا بينه وبين نفسه:

ـ "فعلا. هى دي غلطة عمري".

وقام غسل يديه وجففهما وعاد وجدها وضعت الصينية المعدنية بينهما على الطاولة الصغيرة وراحا يشربان الشاى ويتكلمان على الكنبة، وأنا تركت الحياة تسير بينهما مثل أى حياة متوقعة، إلا أن هذا لم يمنع أنه فى بعض الأيام، خصوصا عندما كان يراها تتربع على الكنبة فى ضوء الشباك وقد عرَّت ركبتيها وبان شىء داخلى من لحمها العارى ترفع قطعة المرآة المكسورة أمام وجهها بينما تمسك الملقاط الصغير بين إصبعيها تنتف جذور الشعر من تحت حاجبها المقوس بعناية، أو عندما كان يلاحظ امتلاء جسدها من الخلف وهى تخطر أمامه فى الصالة، عندما كان يحدث شىء من هذه الأشياء وربما أشياء أخرى قليلة، لم يكن يملك إلا أن يقضى الفترة القادمة يغلبه القلق سواء كان يشرب الشاى أو لا يشربه".

تحوّل ما رآه "المواطن" إلى وهم بصري على يد الراوي .. لنتذكر "الواقعة الأولى" والتي اختلفت الآن حينما أصبحت حكاية مكتوبة .. لنتذكر أيضًا التعديل الذي أجراه الراوي على الحكاية بأن جعل المواطن يكتم صياحه حين رأى المشهد بدلًا من الإعلان الصارخ عن صدمته، والذي على إثره تجمّع الناس، وأسرعت المرأة والرجل بالدخول من

الشرفة .. الراوي الذي يشاهد المواطن كـ "وهم بصري" جعل ما رآه المواطن "الزوجة والرجل في الشرفة" وهمًا بصريًا أيضًا .. تحوّل ما ذُكر في الخبر الأصلي عن "رؤية الزوج المتيقنة لزوجته وعشيقها في البلكونة" إلى وهم بصري في الحكاية .. لماذا فعل ذلك؟ .. لأن الأمر يتعلق بالحقيقة، بالشك والارتياب في ما يبدو مؤكدًا مهما كان بسيطًا وعاديًا، في انتهاك الثقة العفوية المتجذرة التي تحكم العلاقة بالواقع حتى في جوانبه الأكثر انتماءً وإدراكًا .. لننتبه إلى أن "المواطن" بالنسبة للراوي "وهم بصري متخيل" أي يستوعب الراوي أنه "وهم"، أما مشهد الزوجة والرجل بالنسبة للمواطن في حكاية الراوي فإنه "وهم بصري قهري"، لا يفهم المواطن هل هو "وهم" حقًا أم لا، هل ما رآه كان مشهدًا حقيقيًا ولكنه "توهم" حدوثه في شرفته بينما كان يدور في طابق آخر، هل عدم عدّه للأدوار وهو أسفل البيت كان عفويًا تحت تأثير الصدمة أم كان مقصودًا دون وعي حتى يترك مساحة "لعدم التأكد"، والسماح لشكوك التوهم أن تصارع اليقين بصحة ما رآه؟ .. لهذا لم يعد العالم بعد هذا المشهد كما كان، ليس للمواطن فحسب وإنما للراوي بالضرورة .. الراوي الذي سيظل يراقب تفاصيل وأشياء "حياته المتوقعة" بتوجس مثلما يراقب "المواطن" تفاصيل زوجته وطقوسها التقليدية في الحكاية.

بالعودة إلى استفهامات الجزء النظري:

لم يعد السؤال مقتصرًا على: هل رأى الرجل العائد من العمل زوجته تطل من البلكونة شبه عارية، وعشيقها يقف إلى جوارها بملابسه الداخلية ويدخن سيجارة حقًا؟ وإنما أصبح هذا السؤال دافعًا لمزيد من الاستفهامات الأساسية:

لماذا جعلت هذه "الواقعة" المنشورة تحديدًا المواطن يظهر للراوي؟ .. ما الذي كانت عليه حياة الراوي وأدت إلى ذلك في هذه اللحظة وهذا المكان "بيته" تحديدًا؟ .. ما الذي يربط بين الذكريات والعلاقات والأسرار والأفكار والمشاعر والتخيلات والهواجس التي تشكّل ذات الراوي وواقعة المواطن؟ .. هل يمكن للحظة الوهم البصري أن تجعلك

تفكر بأن ما كنت تعيشه كان "وهمًا" في حين أصبحت هذه اللحظة هي "لحظة الحقيقة"؟

مشروع الكتابة

قصة قصيرة من 500 كلمة تضم هذه العناصر من حياة كاتب المشروع:

1- لحظة وهم بصري واقعي أو متخيّل.

2- شخصية واقعية.

3- (عنصر من الذاكرة): حكاية طفولية شخصية - حكاية طفولية تخص شخصًا آخر - صورة فوتوغرافية - شيء قديم.

4- مشهد واقعي من الحاضر.

5- صورة أو إطار خيالي يجمع التفاصيل السابقة.

تستند كتابة المشاريع إلى التساؤلات الجوهرية لموضوع الورشة:

لماذا رأيت هذا الشيء تحديدًا مع أو قبل إدراكي بأنه كان وهمًا بصريًا؟ .. لماذا في هذه اللحظة وهذا المكان بالذات؟ .. ما الذي يربط هذا الوهم بحياتي، بالماضي الشخصي كما أستعيده الآن، بعلاقاتي جميعها على مدار عمري، بأسراري، بأفكاري ومشاعري وتخيلاتي، ما الذي يربطه بما يؤرقني، وبمعني الحياة والموت بالنسبة لي منذ الطفولة وحتى رؤية هذا الوهم؟

قصص الورشة

بودكاست

د. رشا الفوال

في مساء الجمعة الثالثة من شهر رمضان الذي مُنعت فيه إقامة الصلاة في المساجد للمرة الأولى، مُنع الناس من التجوال أيضًا، لم يبق سوى مراقبة الشارع وتفاصيله الهادئة، تتقافز الكلاب والقطط أثناء عبور الطريق دون خوف، تقريبًا كل نصف ساعة تمُر سيارة، جلست لمراقبة نباتات الشرفة وحدثتها عن الإحساس بالوحدة، عن الخوف من الموت، رائحة الموت مؤرقة في التلفاز والراديو ووسائل التواصل الافتراضية. في شرفة الدور المقابل لشرفتي في العمارة المقابلة بالصف المواجه وقفت امرأة تراقب تفاصيل الشارع الهادئة، منتبهة تمامًا لتفاصيل الدخول والخروج من صيدلية " الفتح " أسفل العمارة التي أسكن فيها، أنا أيضًا منتبهة تمامًا لتفاصيل الدخول والخروج من صيدلية " ميشيل " أسفل العمارة التي تسكن فيها.

طالت مدة ثباتها حتى وصلت الساعة الحادية عشر، انتابني القلق بشأنها، جلست بجوار نباتات الشرفة أدعو للأموات، ثم انصرفت إلى الداخل، كل أبواب الغرف مغلقة، كل ولد من أولادي منهمك في هاتفه المحمول، منهم من يطالع الأخبار السوداوية التي عمت العالم، منهم من يلعب بابجي، منهم من يشاهد البودكاست المفضل لديه. أعددت لهم حلوى خفيفة... انتبهت لبقعة قديمة على جلبابي الأوفوايت، عدت إلى الشرفة مرة أخرى لمراقبة الشارع بتفاصيله الهادئة وحركات عربات الشرطة الرتيبة المصحوبة بالسرينة التي لا تدعو للطمأنينة أبدًا. نظرت باتجاه المرأة في شرفة الدور المقابل لشرفتي في العمارة المقابلة بالصف المواجه، وجدتها على نفس هيأتها لم تتحرك.

وقتها بدأت أحدث نفسي بصوت مرتفع: "لتكون الست دي ماتت وهى واقفة ساندة على السور/ أكيد ولادها مشغولين عنها/ وممكن يكون

ماعندهاش أولاد". في هذه اللحظة تحديدًا أمسك كتفي ابني الأكبر الذي رآني أحدث نفسي مستفسرًا، أشرت إلى المرأة المستندة إلى سور شرفة الدور المقابل لشرفتي في العمارة المقابلة بالصف المواجه وقُلت له: "الظاهر الست دي ماتت وهى واقفة، دى بقالها 3 ساعات كده" سألني ابني: "هى فين الست دى؟" قلت له: "أهى هناك لابسة جلابية أوفوايت ساندة على السور" قال لي: "مافيش ست واقفة، دى طيارة ورق كبيرة مسنودة على السور، الديل بتاعها معمول بورق غامق ملفوف فوقها/ إنتِ واقفة تتابعي الشارع من غير نظارتك ليه؟".

فانوس الست أمينة

ابتهال عبد الحميد

أمام أحد الدكاكين العتيقة ذات الأبواب الخشبية الواسعة في شارع المعز، بين المساجد والأسبلة الضاربة في القدم حيث تتنفس التاريخ والعظمة مع الهواء تلقائيا؛ وبين بضائع الدكاكين الأخرى اللامعة الجديدة الصنع أصيلة الطراز، لفتتني بضاعته القديمة والتي يعود بعضها ربما لمئة عام أو أكثر.

هذا هاتف كذلك الذي يظهر في الأفلام القديمة بلونه الأسود وقرصه الكبير وسماعته الضخمة، وهذا جهاز تشغيل الاسطوانات المسمى جرامافون ذو القمع الكبير لتوزيع الصوت، وتلك ماكينة خياطة قديمة الطراز جداااا يعلوها الصدأ، أما هذا.. ما هذا المكعب الزجاجي؟ سألتُ البائع فأجابني: إنه فانوس حنطور، فوجئت بوزنه الثقيل حين تناولته وأخذت أتأمل زجاجه المعشق في الإطار النحاسي المُجَنْزَر؛ فضرب عيني شعاع شمس انعكس عليه كالبرق، جفلت عيني فماجت بي الأرض وحين فتحت عيوني تراءت لي الست أمينة حرم السيد احمد عبد الجواد وهي تتشبث بيد كمال الصغير، والذي بدوره يحاول النجاة بأمه من زحام حي الحسين .

وفجأة وعلى يسارهما؛ ظهر حنطور يشق الزحام متباهياً بفوانيسه البراقة وسائقه يلهب ظهور الجياد الساحبة له بسوطه لامبالياً بمن في طريقه. وهنا اصطدم الفانوس الأيمن للحنطور بكتف الست أمينة؛ صدمة أطاحتها أرضاً وخلعته من مكمنه على جانب الحنطور فطار هاوياً إلى الأرض، وتعالى صوت السائق لاعناً لها ساخطاً على تلك الخسارة التي كبدته إياها، ضارباً عرض الحائط بألمها وهلع كمال .

أمعنتُ النظر فزعة في وجه الثائر الساخط، وفوجئت بملامح البائع تتجسد أمامي ورأيته في دكانه بشارع المعز يحمل الفانوس مشروخ الزجاج بيده، وصوته يزداد ارتفاعاً بالسخط على إهمالي .

عالجت الأمر بأن دفعت له ثمن الفانوس ومضيت لأستكمل جولتي في شارع المعز بخيلاء مرفوعة الرأس أتيه فخرا بفانوس الست أمينة.

مرآة

نبهان رمضان

استيقظ مبكرا وعيناه مملؤتان بالنعاس، ظلتا مغلقتين.

دخل الحمام ووقف أمام مرآة الحمام، قاوم النعاس.

صُعق من المشهد الذى فتح عينه عليه. ظن أنه مازال نائما. فرك عينيه بلا جدوى.

ترجل نحو الحائط مصطدما به حتى يتأكد أنه مستقيظ ، كرر فعلته حتى تألمت عظامه.

عاد للمرآة لم يجد جسده أيضا. صاح على كل من بالمنزل

أسرعوا لنجدته، لم يروا شيئا غريبا

إلا هذه المرآة تراه رأسا بلا جسد.

رأس الاسباجيتي

سماح رشاد

نظرت لنفسي في صالون التجميل بالمرآة معجبة، التفت برأسي بدلال يمينًا ويسارًا، فرحة بقصة شعري الجديدة، سُرّ زوجي كثيرًا بالتغيير، أظنه سيفعل عندما يراني، أيضًا ربما سأحظى بعناق وقبلات كثيرة، سينبهر به بعد أن أطلق على شعري طبق السباغيتي، سأغير ثيابي بشيء أنيق وربما أضع الكحل وأحمر الشفاه، تغيير كلي لأسرق قلبه، ها هي خطواته على الدرج أسمعها، يضع المفتاح بالباب، ركضت استقبله بحماس، وأنظر لنفسي مرة أخرى بمرآة الممر، فزعت وصرخت صرخة متعجبة من رأس الأسباغيتي، حدثت المرآة - كيف أتيتِ بهذا الرأس هنا، أين قصتي والكحل وأحمر الشفاة؟! ربما خدعتني المرآة، نفضت نظرتي لها بعيدًا، لكن لماذا لم يدخل زوجي للآن، فتحت الباب لم أجده، نظرت عبر الدرج لأسفل لم يظهر، عدت للشقة أشعر بخيبة فقد الشعور الأول للطلة، لذا لن أعود لاستقباله عندما أسمع صوت المفتاح بالباب مرة أخرى، ولن أنظر لمرآة الممر.

الأحلام غيث

إيمان مسعد

كُنتُ في طريقي المعتاد إلى العمل، وأنا فى عربة مُكتظة بشكل يُلائم الناس وقت الظهيرة، والعربة تسير بشارع البحر ببطء، واقترب وقت النظرة المُتأملة التي أحرص عليها، وفي كل مرة بذات الانبهار، وكأنني لا أمرُ هُنا كل يوم وفي نفس التوقيت تقريباً.

أنظر إلى فيلا أنيقة - برغم عدم الإهتمام بترميمها - معمارها صامد يصِر على منحِها رونقاً جذاباً.

إنها فيلا "غيث" من ما تُرِك دون هدم من معمار القرن العشرين في مدينة المنصورة التي أسكنها أنا وأكثر من ستة ملايين مواطن اليوم.

المنصورة مُطلة على النيل على طول امتدادها، وكان بها نماذج مباني كثيرة كفيلا "غيث" تضاهيها فى الجمال، ولكن قليل ما استطاع الصمود، ولكن نظرتي المُختلسة كلما مررت من هُناك تُعبِر عن جزء مني يرفض التخلي عن الماضي وكان جميلاً هكذا .. كيف نتركه؟! وهي - على سبيل المثال لا الحصر - رغم كل شيء - مازالت بتلك الأناقة!

أكمِل الطريق مُضطرة؛ العربة لن تقف بالتأكيد .. لا شيء يقف الآن ... حتى ولو للحظات!

أكملت يوماً من أيام العمل التعيس، وعُدت إلى البيت، وبدأت ساعات معدودة من الراحة يتخللها تصفُحي من حين لآخر لـ (الفيسبوك) هُنا الكثير من حالات الطلاق والزواج بين المشاهير ...وإحدى الدول أعلنت الحرب على الأخرى إثر نِزاع حدودي بينهما .. لايهُم .. ولكن مهلاً! قتلت في سبيل ذلك ألفين من المدنيين وتُهدد بعدم التراجع إذا لم يُحسم هذا النزاع بما يُرضيها حتى لو اضطرت لقصف المزيد من مواطني الدولة الأخرى .. كفى! أخبار هذا الإنسان المُتحضر تُثير غضبي ومعدتي من فرط القلق على من يمكن أن نفقدهم يوماً نتيجة لحماقة استبدادية جديدة، ولكن لا مزيد من الأخبار المزعجة العبثية ... هناك خبر آخر أفضل يصفونه بالمفاجأة

السارة في (المانشيت)عن وعد الحكومة بانتهاء البطالة بحلول عام 2050 ... أاااه بالتأكيد أفضل؛ إن خبر من نوع الكوميديا السوداء أفضل كثيراً من قتل ألفين أو أكثر من الأبرياء!، ولكن هناك أيضاً مقطع فيديو قديم لأصحاب فيلا "غيث" .. ياللروعة!

الفيديو مُصوّر فى أوائل الستينات ومُلون - رُغم ذلك - ، ويُظهر احتفال الأسرة بنجاح ابنهم، ولكن التفاصيل مُدهشة: النساء يرتدين فساتين أنيقة - كما عُرِفت - موضة الستينات ويبتسمن ويتبادلن أحاديث عندما ترى إحداهن الكاميرا تبتسم على استحياء وارتباك لأن تسجيل فيديو احتفال عائلي في هذا الوقت شيء غير مألوف بالطبع، ولكني استكمل الفيديو برؤية رجال قد ارتدوا بدلاتهِم ويضحكون للكاميرا مُستمتعين بتلك التجربة الجديدة، ولكن لحظة؛ النيل كان يظهر من ورائهم مباشرةً موضع ما كانت العربة تسير بي!، وكل تلك المسافة أُقطتعت لعمل الشارع الفاصل بين الفيلا والنيل الآن والمباني على أية حال حجبت الرؤية في الأصل.

أياً ما كان الآن، وأنا أُشاهد الفيديو سمحت لنفسي باقتحام تلك الحفلة "وها أنا أتخطى البوابة وأُسلَم وأُقدَم التهنئة للابن، وأقف أتبادل الحديث مع إحداهن مُستمتعة برؤية النيل التي لا تُمل وأتناول ما قُدِم لي من الحلوى، وأبتسم للكاميرا التي توثق جزءاً من تاريخ المدينة غير المكتوب، وأنا أتلذذ بخيالي والموسيقى الكلاسيكية بدأت ألحانها تتردد في أُذني" خشيت تبدد الخيال بصياح أخواتي أو علو صوت التلفاز فجأة ... ولكن - للأسف - إعلان تلك المدينة السكنية الجديدة ما لبِثَ أن ملأ الشقة صياحاً بأغنية حماسية تدعوك للبدء فى تحقيق أحلامك المستقبلية بامتلاكك إحدى الوحدات السكنية فى مدينة الأحلام ... ما أجمل الأحلام!.

اللوحة

رضا الأشرم

كان البيت كبيرا جميلا ..أروع ما فيه أرضيته الخشبية (الباركيه) وحديقته الواسعة.وأشجارها النادرة.

تعوّدت أن أزوره رفقة امى ..دائما ما كانت السيدة صاحبة البيت حزينة. لا ترى الابتسامة أبدا على وجهها ..لكن غاظني منظر لوحة كبيرة ..كانت بحجم جدار كامل .... بها منظر طبيعى يخطف العين .. ويشرح الصدر .... كانت اللوحة منظرا طبيعيا لحديقة بها بيوت بعيدة وأشجار عملاقة .. وطيور طائرة وواقفة .. ولكن كم حزنت لتغطية رؤوس الطيور بمربعات بيضاء لاصقة فشوهت جمال اللوحة.

ظلت السيدة صاحبة البيت وأمى تتحدثان بود وتحتسيان القهوة .. وتركتاني أتأمل اللوحة وبعدما خرجنا سألت أمي بحنق:

لماذا غطت السيدة رؤوس هذه الطيور يا أمي؟

فردت: والله يا ابني لا أعلم ..ابقى اسألها مرة تانية.

وظللت أتحين الفرصة منتظرا الزيارة .. ولكني لم أنتظر كثيرا .. فصباح اليوم الثانى تناولت كراسة رسم والألوان ورسمت اللوحة كما أحب .. وكانت الطيور البيضاء أجمل ما فى اللوحة .. رسمت طيورا تطير وأخرى واقفة على أشجار قريبة وبعيدة .. وأخرى تأكل بمناقير حادة وأخرى تقف بشمم ورشاقة فوق البيوت.

ولونت اللوحة وأعجبتني ..

وظللت أنتظر الزيارة لأحمل لوحتي للسيدة صاحبة البيت لأطلب منها تكبيرها ووضعها مكان لوحتها المشوهة

وحين أخبرتني أننا ذاهبان رحت أترقب متوعدا السيدة صديقة أمى

ووصلنا وذهبت ولكن أشارت لي السيدة أن أجلس على كرسي آخر غير الذي جلست عليه المرة السابقة

كانت الزاوية مختلفة

وقفت فاتحا فمي.. إذ كانت اللوحة أجمل والرؤوس موجودة

قالت: مالك؟

قلت: ألم تكن طيور الرؤوس مغطاة المرة السابقة؟

قالت: نعم؟ لقد أزلت منذ فترة مربعات لاصقة كانت تغطيها .. ولكن يبدو أن الصمغ لا يزال عالقا، صعبا إزالته.

ووقفت ..واستأذنت السيدة قليلا ..مشيرا إليها أن أتامل اللوحة .. فوافقت بكرم .. وأنا أقترب لمحت كتبا قديمة يغطيها تراب كثيف ..أعلم أنها كتب ممنوعة ويُلاحق أصحابها...

وتلفت متسائلا: ومن غطاها إذن؟

فنظرت السيدة لأمي .. والاثنتان بدورهما ينظران لصاحب صورة معلقة على الحائط المقابل .. ملامحه صارمة وعيونه حادة .... والشدة تبدو على وجهه ...

وخرجنا

ونظرت لأمي أستوقفها مستفسرا

هل هو زوج السيدة الذي فعل هذا؟

.. وأين هو؟

قالت أمي بيأس: يا ابني لن ترافقنى ثانية. لقد أحرجتني. لا تنكأ جراح السيدة .. دعها وشأنها .. ولا تزد أحزانها.

كحل حامي

حنان ماهر

لا تحب سبت النور الذي يسبق عيد شم النسيم وتتكحل فيه البنات والنساء وبعض الأطفال. عيناها لا تتحمله، تدمعان كلما وضعته، تضعه جارتها الذاهبة للعمل بجمال وكثافة، تحاول أن تبعد عن نفسها إحساس الحقد الدفين لجمال عينيها المزينتين به .

تخرج الجارة مزهوة بنفسها كأنها تعرف جمال كحلها اللافت للنظر وأنها ناجحة في ذلك، تفكر في سؤالها عن نوع الكحل أو طريقة وضعه لكنها جبنت وخافت أن تصفها الجارة بالفشل أو الغيرة أو حتي تستهزأ بها.

أصحو علي عينيها الواسعتين المكحلتين بالششم، كمًا كانت تسميه والدموع السوداء تسيل بغزارة علي خديها صانعة أكثر من مجرى. أفزع لأول وهلة وكأني أري عفريتا، ولكن أنتبه أنني في بيتنا وهذه جدتي الجالسة بطرحتها القطنية البيضاء التي طالما لعبنا بها. أسألها لماذا تبكي، ترد إنه الكحل لكن نوعه ششم حامي.

كانت لها طريقتها في صنعه من حجر أسود تحضره من عند العطار وتسخنه ثم تطحنه ثم تنخله بقطعة قماش شيفون من طرحة قديمة.

تقف أمام المرآة وتمسك المكحلة وتتردد في استخدامها ووضع الكحل، ماذا لو أنها أصابت عينها من الداخل؟ أو لم تنجح ولم يكن الشكل مرضيا؟ والأهم ماذا لو تألمت من حرارة هذا الكحل؟

انتبهت على صوت جارتها تلقي عليها تحية الصباح وهي تقف في انتظار الباص الخاص بتوصيل طفلتها للمدرسة وعينيها معلقة بعيون الجارة المكحلة الجميلة، ردت بكل عفوية مع ابتسامة لها معني "صباح الكحل".

لقاء الليل

سوما الباز

كنت أراها في طفولتي كثيراً، فأشعر بالخوف والرهبة، كلما فتحتُ عينيّ وجدتها تنظر إليّ، هكذا من نفس مكانها فوق منضدة في ركن غرفتي، فأعاود إغلاقهما والتدثر التام بغطائى.

تُرى من تكون ولماذا لا تنام مثلنا، وهي صبية جميلة في نفس عمري . تكرر الموقف كثيراً وتكرر تأكيد أمي في الصباح أنه مجرد حُلم وخيالات طفولة.

هذه الليلةُ وبعد انقطاع لسنوات وجدتها على مكتبي تعبث بأوراقي وأقلامي، وتتبسم إليّ، فاطمأن قلبي إليها بعض الشيء، واتخذت قراري باقتحام أغوار خوفي، فنهضت من فراشي واقتربت منها بحذر، كانت رائعة الجمال، قلت لها بشغف:

- من أنتِ؟!

جاوبتني بابتسامة عذبة، نسيت معها كل حذري وجعلتني أتبعها دون إرادة من غرفتي لردهة البيت الخالية، وعندها فتحتْ ستارة سميكة، لا أعلم متى ومن أين جاءت، لأرى خلفها حديقة كبيرة تحوي كل أشكال الزهور الجميلة، والطيور النادرة.

سرتُ خلفها في ذهول

من أين جاء كل ذلك بل من أين جاء النهار سريعاً بعد ليل غرفتي؟!

دعتني للجلوس بجوارها على أريكة مُزينة بالورود وبدأت بالكلام:

- مرحبا بكَ في حديقة منزلنا

نظرت إليها ساهماً يعجز عقلى عن تصديق ماتراه عيناي، وقلت لها بتلعثم

ـ من تكوني، وكيف يحدث كل ذلك؟!

أخبرتني قصتها فهي ابنة كبير الحكماء في مملكة الجن ورأتني ذات مرة في أثناء تنزهها فانجذبت إليّ، وظلت تراقبني فترة طويلة لا تجرؤ على التحدث معي وعندما وصل خبرها إلى والدها شدد عليها الخناق والحرس، فتلك جريمة في عالمها، إلى أن شعرت الليلة برغبة كبيرة لرؤيتي لم تسطع منعها ، قضيت معها ساعات بين حديث ونُزهة، قبل أن أودعها أمام ستارتي التي مازال يكسوها الصمت والليل من الداخل، على وعد بلقاء قريب.

تملكني الذهول عندما نظرت إلي الساعة المعلقة على جدار غرفتي، لأجد الوقت كما هو قبل مغادرتي معها فخلدتُ إلي فراشي مستمتعاً بأصوات الطيور التي مازالت تملأ أذنَيَّ.

الرحلة

سارة القصبي

ميليسا

أم لطفلين تربيهما بمفردها، قررت القيام برحلة هي وأبنائها لزيارة بلدتها القديمة ومنزل أمها التي غادرت الحياة منذ سنوات، بينما هبطت ميليسا البلدة شعرت أنها لم تعد تنتمي لهذا المكان، فقدت حالة التواصل والألفة بينها وبين تلك الأرض، غُيبت في لحظة وشعرت باغتراب شديد

أيعقل هذا مكان ولادتي وطفولتي وصباي!

وصلت ميليسا لمنزل الأم يساورها خوف من مواجهة الموت، لا أعلم هل نخشي مواجهة الموت هل يخفينا الموتى؟

أم ماذا تخشاه ميليسا؟

ساعدت ميليسا المربية الصغيرة لضبط غرفة الطفلين، وتحميمهم والاستعداد للنوم.

ثم توجهت ميليسا لغرفة نوم أمها وكأنها محاولة لرأب الصدع القديم وإيجاد الإجابات الكافية.

سقطت ميليسا في السرير مرتدية لباس والدتها القديم، بينما اعتدل بسريري أشاهد ميليسا تتقلب بين نزاع قديم بحثا عن الإجابات.

اشتبكت ملابسي بمسمار قديم بأحد أدراج الكومدينو الصغير

هذا المسمار مزق العديد من ملابس ماما قديمًا، ولم يتسن لها الوقت ولا لي أيضا أن نزيله من هنا

عالق من أزمنة قديمة ولازال حاضرًا.

أغمضت ميليسا عينيها وشرعت بالنوم

ظهرت رسالة تذكير بهاتفي لموعد زيارة المقابر، ولأنني لست هذا النوع من الفتيات فدوما استعن بصديقتي ليلى لتجهيز ما يلزم.

ليلي صديقة الطفولة الشجاعة التي دومًا تنقذنا من الورطات.

تجولت ميليسا داخل أروقة المنزل بهلع ورعب تنادي اسم والدتها مرددة لماذا.. لماذا؟

بينما توقظها رنة الهاتف من أحد الأصدقاء القدامى، رغبة في لقائها

أنقذها صوت الهاتف من جولة مرعبة .

حينها قررت أن تتوقف عن النبش في الماضي

بل ترك غرفة الموتى، وعدم إزالة المسمار القديم.

الذبابة

مروة فهمي

كعادتي كل يوم جلست لقراءة وردي من القرآن، ولكن تلك المرة قررت أن أجلس بالقرب من النافذة لأنعم بأشعة الشمس المتسللة منه. بعد القليل من الوقت سمعت ذلك الصوت المنبعث لذبابة تحوم بجانبي، لكنها كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة بعدما انغمست في مادة صيد الذباب التي جلبتها أمي مؤخرًا.

وجدت نفسي أغوص في أفكاري، وأتذكر منظر الطيور بعد ذبحها وهي ترقص من الألم، ووجدتني أبتسم لمعرفتي بأن الإنسان يرقص من الألم في أوقات كثيرة، ثم سألت نفسي هل يرقص الإنسان أيضًاعندما يلاقي حتفه بأي وسيلة. لكن سريعًا ما استنكرت هذه الكلمة وهذا التشبيه، فهذا مشهد مهيب وللموت قدسية يجب احترامها.

كم أتمنى أن أتخلص من التفكير الزائد في كل شئ يدور حولي، لا أعلم أهي نعمة أم نقمة!

سارعت بالخروج من هذه الدوامة، عدت لإكمال وردي وأتمنى أن أركز فيه وفي معانيه في كل مرة أتلوه، كما أنا أركز في كل ما يدور حولي!

المحتويات

ـ اقتناص الوهم البصري في القصة القصيرة 3

تطبيق على قصة "الرجل الذي عاد" لابراهيم أصلان:

القصة 4

التطبيق 11

ـ مشروع الكتابة 24

قصص الورشة:

ـ بودكاست / د. رشا الفوال 25

ـ فانوس الست أمينة / ابتهال عبد الحميد 27

ـ مرآة / نبهان رمضان 28

ـ رأس الاسباجيتي / سماح رشاد 29

ـ الأحلام غيث / إيمان مسعد 30

ـ اللوحة / رضا الأشرم 32

ـ كحل حامي / حنان ماهر 34

ـ لقاء الليل / سوما الباز 35

ـ الرحلة / سارة القصبي 37

ـ الذبابة / مروة فهمي 39